

تنصرها؟ قال: نحلتي مطوية في صدرى، لا أتقرب بها إلى مخلوق، ولا أنادى عليها في سوق، ولا أعرضها على شاك، ولا أجادل فيها المؤمن. قال: فاقول في القرآن؟ قال: ما أقول في كلام رب العالمين الذى يعجز عنه الخلق إذا أرادوا الاطلاع على غيبه، ويحجوا عن خافي سره وعجائب حكمته، فكيف إذا حاولوا مقابلته بمنزله، وليس له مثل مظنون فضلاً^(١) عن مثل متيقن. فقال له ابن عباد: صدقت. ولكن مخلوق أم غير مخلوق؟ فقال: إن كان مخلوقاً كما يزعم خصمك فايضرك، فقال: يا هذا، أهبذا تناظر في دين الله، وتقوم على عبادة الله؟

قلت: ضبطت (الهون) في (لا أنام على الهون) (ويركب الهون سامماً) بالفتح وإنما هي بالضم. في الصحاح: الهون بالضم الهوان، وفي الكشاف في تفسير (أعسكه على هون أم يدسه في التراب): على هون على هوان وذلل، وقرئ على هوان. وقال في تفسير (اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق): الهون الهوان الشديد، وإضافة العذاب إليه كقولك: رجل سوء، يريد العراقة في الهوان والتكبر فيه.

و (الهون) بالفتح: السكينة والوقار كما في الصحاح. وفي الكشاف في تفسير (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً): الهون الرفق واللين^(٢). (ولا أعطى صمتي لمن لم يكن ولى نعمتي) هي (ولا أعطى عصمتي) أى قيادى وزمامى. في التاج: قال محمد بن نشوان الجيرى في (ضياء الخلود): أصل العصمة السبب والحيل. وفي اللسان أصل العصمة الحيل وكل ما أمسك شيئاً فقد عصمه.

(١) قلت: قال العلامة الفيروى في مصباحه: قال شيخنا أبو حيان الأندلسى تزيل مصر المحروسة أبناء الله تعالى: لم أظن بمنس على أن مثل هذا التركيب (لا يملك درهما فضلاً عن دينار) من كلام العرب. قلت: هو تركيب مولد صالح، وهو في كلام أئمة في نثر وفي شعر، قال أبو عامر في فريدة يبنى الروائق وييزيه بأبيه اللتتم: لو يقدرون مشوا على وجنتهم وعيونهم فضلاً عن الإقدام (٢) المعنى أنهم يمشون بكينة ووقار، ولا يضررون بأقدامهم، ولا يخفقون بنالهم أشراً ويطراً، ولذلك كره بعض العلماء الركوب في الأسواق والمراد بالجهل السفه وقلة الأدب وسوء الرعة، وعن أبي العالمة: نسختها آية القتال. ولا حاجة إلى ذلك، لأن الأعضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن في الأدب والمروءة والفرية وأسلم لمرض والورع (الكشاف) الرعة: الطريقة، السيرة.

في إرشاد الأريب

إلى معرفة الأريب

للأستاذ محمد إسماعيل النشاشيبي

— ٢٦ —

—>>>><<<<—

ج ٦ ص ٢١٠: قال أبو حيان: قال صاحب بن عباد لأبي باقد الكرايسى:

يا هذا، ما مذهبك؟ قال مذهبي أن لا أفر على الضيم، ولا أنام على الهون، ولا أعطى صمتي لمن لم يكن ولى نعمتي، ولم تصل عصمتي بعصمتي. قال: هذا مذهب حسن، ومن ذا الذى يأتى الضيم طائماً، ويركب الهون سامماً؟ ولكن ما نحلثك التى

من الارتفاع؟ أو هل تكرر الكهولة راجعة إلى الشباب الذى رلى عهده، أو الطفولة التى تقضى أوانها؟ كذلك الأمم لا وقوف فى حياتها ولا رجوع، حتى تستنفد حيويتها ويبلغ أجلها مداه، كما يبلغ أجل الفرد مداه، وكل ما هنالك من الفرق أنها لا تبنى بناء الفرد، بل يدركها ما نسميه الانحطاط، وليس يحفظها من الانقراض إلا دخول دماء جديدة فيها، فتصبح وكأنها تسربت فى غيرها وغابت فيه، لأن هذا النير أقوى وأزخر حيوية، فإذا يتبع لها ذلك بادت كما بادت القرون الخالية.

من أجل هذا نؤثر أن نستبشر بالاعتراف القريب باستقلال شرق الأردن، ويسرنا أن الله قد حقق لصاحب السمو الأمير بيد الله ما كان مأربه من أول يوم دخل فيه هذا البلد الطيب، لما دخله ليضعه تحت الانتداب البريطانى، بل ليستقل به ويكون ملكاً عليه حراً فيه، غير أن القادير جرت بخلاف ذلك، فالآن يرم له ما أراد، أو بعضه، فله منا التهنته، والرجاء المخلص أن يرى فى هذا ما يعنيه عن التفكير فى «سورية الكبرى»، فإن بجاح المسى إذا أجه إلى العراق، أقرب منه إذا أجه إلى سورية. والله أعلم، وهو الموفق.

إبراهيم عبد القادر المازنى

والزغشري يقول في ديباجة الكشاف : « الحمد لله
أنزل القرآن كلاماً مؤلفاً منظماً ، ونزله بحسب المصالح ،
وجمله بالتحميد مفتوحاً وبالاستمادة مختبئاً ، وأوحاه على
متشابهة ومحكماً ، وفصله سوراً وسوره آيات ، وميز بينهن
وغايات . وما هي إلا صفات مبتدأ مبتدع ، وسمات منشأ
فسبحان من استأثر بالأولية والقدم ، ووسم كل شيء
بالحدوث عن العدم » .

قال السيد الجرجاني في حاشيته : « يروى أنه وقع في أم
(نسخ الكشاف) ^(١) خلق مكان أنزل ثم غيره المصنف لأمر
القرآن حادثاً أمر شنيع عند الخصم فأراد أن يكتمه أولاً
يظهره بمد سوق مقدمات مسلطة عنده ، ومستلزمة لك
في نفس الأمر ، فإن ذلك أقوى في استدراجه إلى التسليم
لا يشعر به » .

وشاعرنا البحتري كان في قوله في القرآن يدور مع الله
قال الإمام المرزباني في كتابه (الموشح) :

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا إبراهيم بن عبد الله الـ
قال : قلت للبحتري : ويحك ! أتقول في قصيدتك التي
بها أبا سميد (أفاق صب من هوى فأيقنا) :
يرمون خالقهم بأقبح فعلهم ويحرفون كلامه
أصرت قدرياً منزلياً ؟ فقال لي : كان هذا ديني في أيام
ثم زعت عنه في أيام التوكل . فقلت له : يا أبا عبادة ،
سوء يدور مع الدول ...

قلت : في ترميزات الجرجاني : القدرية هم الذين يزعم
كل عبد خالق لفعله ولا يزون الكفر والماضي بتقدير الله
وفي (شرح المقاصد) : انفقت الممتزلة ومن تابعهم من أه
على أن السباد موجودون لأفعالهم مخترعون لها بقدرهم ،

يقولون إن إله العرب ينزل منها ويمهد إليها ، ومبجزة مؤ
يملكونهم عليهم من ولد زيد أنهم ذوو الحى ، وأنهم قيام الإ
عبيونهم واسعة ...

(١) ذكر ابن خلدون الكشاف في فصلين من مقدمته أ
الأول : ومن أحسن ما اشتغل عليه هذا الفن - اللغة والاعراب و
من التفسير كتاب الكشاف للزغشري إلا أن مؤلفه من أهل
في العقائد نيات بالحجاج على مذاهبهم الفاسدة . . . فصار ذلك لل
أهل السنة اعتراف عنه ... مع إقرارهم برسوخ قدمه فما يتعلق
والبلاغة ، وإذا كان الناظر فيه واقفاً على المذاهب الدنية فلا جرم أ
من خوائله فلتنغم مطالته لتراية فنونه في اللسان .

(إن كان مخلوقاً كما يزعم خصمك) هي (إن كان غير مخلوق
كما يزعم خصمك) لأن (القدم) قول خصمه و(الخلق) قول
الصاحب ومن تذهب بذهبه . وفيه يقول أبو محمد الخازن
في إحدى قصائده :

أرى الأقاليم قد ألفت مقالداً إليه مستبقات أى إلقاء
فناس سببها منه بأربعة أمر ونهى وتثبيت وإمضاء
كذلك (توحيد) ألوى بأربعة كفر وجبر وتشبيه وإرجاء ^(١)

« والمتمزلة - كما في شرح المواقف - لقبوا أنفسهم بأصحاب
المدل والتوحيد وذلك لقولهم بوجود الأصلح ونفى الصفات
القديمة يعنى أنهم قالوا : يجب على الله ما هو الأصلح لعباده ويجب
أيضاً ثواب المطيع فهو لا يخل بما هو واجب عليه أصلاً ، وجعلوا
هذا عدلاً ، وقالوا أيضاً بنفى الصفات الحقيقية القديمة القائمة بذاته
تعالى احترازاً عن إثبات قدماء متعددة وجعلوا هذا توحيداً » .

في (الفرق بين الفرق) : « وكلهم (أى فرق المتمزلة) يزعمون
أن كلام الله عز وجل حادث ، وأكثرهم يسمون كلامه مخلوقاً » .

في (مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين) : « قالت المتمزلة
والحوارج وأكثر الزيدية والمرجئة وكثير من الرافضة إن القرآن
كلام الله سبحانه وإنه مخلوق لله لم يكن ثم كان ... وحكى عن
ابن الماجشون أن نصف القرآن مخلوق ، ونصفه غير مخلوق ،
وحكى محمد بن شجاع أن فرقة قالت : إن القرآن هو الخالق ،
وأن فرقة قالت هو بعضه ، وأن فرقة قالت : إن الله بعض القرآن
وذهب إلى أنه مسمى فيه ، فلما كان اسم الله في القرآن ، والاسم
هو المسمى كان الله في القرآن » .

قلت : روى ياقوت في معجم البلدان عن كتاب لسمر بن
مهلهل في ذكر ما شاهده في بلاد الترك والصين والهند أن « قبيلة
تعرف بالبغراج لهم أسبلة بغير الحى يعملون بالسلاح عملاً حسناً
فرساناً ورجالاً ، ولهم ملك عظيم الشأن يذكر أنه علوى وأنه من
ولد يحيى بن زيد ، وعنده مصحف مذهب ، على ظهره آيات شير
رعى بها زيد ، وهم يمدون ذلك المصحف ^(٢) .

(١) قال الثعالبي في البنية : لما قال هذا جعل صاحب يترك
رأس مستحسن .

(٢) وفي هذا الكتاب : وزيد عنده ملك العرب ، وعلى بن أبي
طالب رضي الله عنه عنده إله العرب ، لا يملكون عليهم أحداً إلا من ولد
ذلك العلوى ، وإذا استلبوا الساء فتحروا أفواههم ، وشخموا أبصارهم إليها